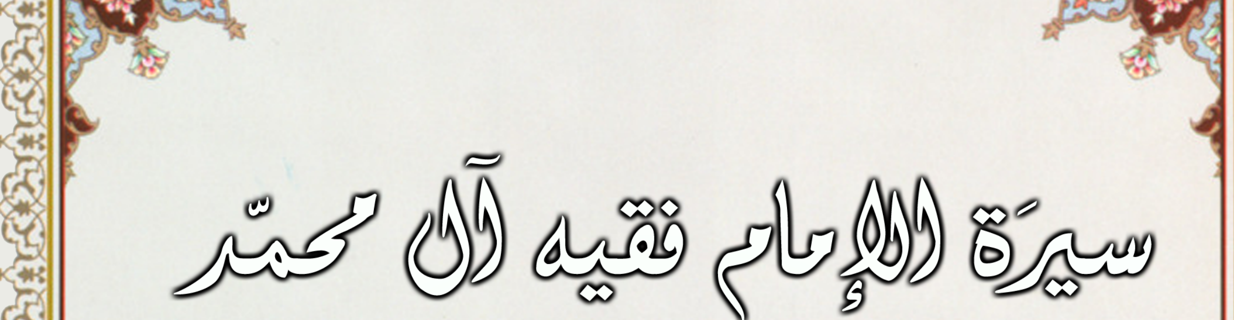


سِيرةُ عِلْمٍ وكِفَاح في سَبيل العَدالة

الإمَام أحمَد بن عِيسَى بن زَيد بن عَلي بن الحُسَين بن عَلي بن أبي طَالب عليهم السَّلام ،

(١٥٧ – ٢٤٧ هـ)

الكَاظم الزيّدي

٢٧ / ٣/ ١٤٣٩هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُلله ، والصّلاة والسّلام علىٰ سيّدنا محمّد النبيّ الأمين ، وعلىٰ أهل بيته الطّيبين الطّاهرين ، نجومُ السّماء وعلامات الاهتداء ، ورضوانه علىٰ الصّحابة المتّقين ، والتّابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلىٰ يوم الدّين .

وبعد :

فهذه سيرةٌ مُنتخبةٌ أوجبَ الظّرفُ اختصارها عن الإمام فقيه آل محمّد أحمد بن عيسىٰ بن زيد بن علي (ع) ، لمّا توجّه بعض أهل البحث والطّلب بالسّؤال ، وأشارَ إلىٰ أنّ سيرتَه (ع) غير مجموعَة ، والحقّ أنّ الوقوفَ عليها غير مُتعسّر علىٰ تفرّقٍ بين المصادر ، فكانَت المُساعدَة بجمعٍ هذه السّيرة ، نزيدُ فيها التتبّع والترتيب لأحداثها من مولدِ الإمام (ع) ، حتّىٰ وفاته ، ومسار تنقّلاته ، وأقوالهُ (ع) في الاعتقاد والله نسألُ المعونَة والتّوفيق وهذا فأوان الشّروع .

- الإمامُ (ع) ، وكُنيته ، ولقبُه :

هُو الإمامُ أبوعَبدالله أحمَد بن عيسىٰ بن زيد بن عَلي بن الحُسين بن عَلي بن أبي طَالب (ع) ، ويُلقّب بـ(المختفي) ، وبـ(فقيه آل الرّسول ، فقيه آل محمّد) .

- مولدُه الشّريف :

قالَ أبو الفرَج الأصفهاني ، حَدّثني أحمَد بن سَعيد [وهُو الحافظُ ابن عقدَة الزّيدي الثّقة] ، قَال: حَدّثنا محمّد بن مَنصُور [المُرادي الحافظُ الثّقة] ، قَال: سَألتُ أحمَد بن عِيسىٰ: كَم تَعدّ مِنَ السّنين؟. قَال: ((وُلدتُ يَوم الثّاني مِن المُحرَّم ، سنَة سَبع وخَمسين ومَائة)) [مقاتل الطالبيين].

- والدهُ :

هُو الإمام مُؤتّم الأشبَال أبو محمّد عيَسىٰ بن زيد بن عَلي بن الحُسين بن عَلي بن أبي طَالب (ع) ، وُلِدَ في الوقتِ الذي أشْخَصَ واستدعَىٰ فيه هشام بن عَبدالملك الأمويّ أباه الإمامُ الأعظَم زيد بن علي (ع) ، وسمّاهُ والدهُ الإمام زيد بن علي (ع) باسم المسيح النّبي عيسَىٰ (ع) ، وذلك أنّه وُلِدَ في ليلةٍ ميلادٍ كانت تحتفلُ فيه النّصارىٰ بعيسَىٰ (ع) في ديرٍ لهُم وهُو في الطّريق إلىٰ هشامٍ أخزاه الله ، سنَة (١٢١هـ) ،

أي قبل استشهاد أبيه بسنَة واحدة ، وعاشَ في كنفِ إخوتِه وبني عُمومته من سادات بني الحسَن والحُسين ، فكانَ المُشارَ إليه بالبنان بينَهم ، حتّىٰ قالَ الإمام علي بن الحسَن بن الحسن بن الحسَن بن علي بن أبي طَالب (ع) : ((لقَد رَأيتُنا وَنَحنُ مُتوفّرون ومَا فِينا أحَدٌ خَيرٌ مِن عِيسىٰ بن زَيد)) [مقاتل الطالبيين] ، قال أبو الفرَج الأصفَهاني : ((وكَان عِيسىٰ أفضَل مَن بقي مِن أهلِه دِيناً ، وَعلماً ، وَورَعاً، وزُهداً، وتَقشّفا ، وأشَدّهم بَصيرَة في أمرِه ومَذهبه، مَع عِلمٍ كَثير، ورِوايةٍ للحَديث وطَلَبٍ لَه صِغرَهُ وكِبرَه، وقَد رَوىٰ عَن أبيه، وَجعفَر بن محمّد، وَأخيه عَبدالله بن محمّد ، وسُفيان بن سعيد الثّوري ، والحسَن بن صالح بن حي ، وشُعبة بن الحجّاج ، ويَزيد بن أبي زياد، والحسَن بن عمارة ومَالك بن أنس، وعبدالله بن عُمر العُمري ونظَراء لهم كَثيرٌ عَدَدهم)) [مقاتل الطالبيين] ، نعم! وقد كانَ له دورٌ كبيرٌ عظيمُ في الأمر بالمَعروف والنّهي عن المُنكر حيث خرجَ مع بني عُمومته ، الإمام النّفس الزكيّة محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن (ع) ، (ت١٤٥هـ) ، والإمام النّفس الرضيّة إبراهيم بن عَبدالله بن الحسن بن الحسن (ع) ، (ت١٤٥هـ) ، وكان مُعظّماً لحقّهما صلواتُ الله عليهما ، حتّىٰ قالَ الإمام عيسىٰ بن زيد (ع) : ((لَو أنزلَ الله علىٰ محمّد (ص) أنّه بَاعِثٌ بَعدَه نَبيّاً لكَان ذَلك النبيّ محمّد بن عبد الله بن الحسن)) [مقاتل الطالبيين] ، فتولّىٰ قتال عيسىٰ بن موسىٰ العبّاسي بنفسِه ومَنّ مَعه من أصحاب الإمام النّفس الزكيّة (ع) ، وكان أخوه الإمام الحُسين بن زيد بن علي (ع) معَ الإمام النّفس الزكيّة ، وأيضاً كانَ الإمام عيسىٰ بن زيد (ع) علىٰ ميمنَة الإمام النفس الرضيّة إبراهيم بن عَبدالله (ع) ، وقد كان الإمام النفس الزكيّة أشارَ إلىٰ أنّ الأمرَ بعدَه لأخيه إبراهيم ، ثمّ لابن عمّه عيسىٰ بن زيد ، لوقد حصَل أمرٌ في المعركَة ، وقد كانَ أبوجعفرٍ المنصور العبّاسي يتبرّم ويضيقُ صدرُه من وقوفِ الإمامين عيسىٰ والحُسين ابني زيد بن عَلي صلوات الله عليهم في وجهه ، فقد كان (ع) ذا بصيرَةٍ وتأثيرٍ علىٰ النّاس وجهادٍ عظيم ، حتّىٰ أنّ أبا جعفرٍ كان يحتالُ له من كلّ وجهٍ ، حتّىٰ كان في حجّ سنةٍ من السّنوات ، فَسمعَ النّاسُ مُنادياً يُنادي: لِيُبلغ الشّاهد الغَائب أنّ عِيسىٰ بن زيد آمِنٌ في ظُهوره وتَواريه، وذلكَ أنّه (ع) كان قد توارَىٰ بعد استشهاد الإمام النّفس الرضيّة (ع) ، فرَأىٰ الإمام عِيسىٰ بن زيد أنّ الحسَن بن صَالح (وهُو من أصحابِ الإمام وخواصّه) قَد ظهَر فيه سُرورٌ بِذلك النّداء. فقالَ (ع) : كَأنّك قَد سُرِرتَ بما سَمِعتَ، فقال الحسَن : نَعم. فقال لَه الإمام عِيسىٰ (ع) : والله لإخَافَتي إيّاهم سَاعَة أحَبّ إليّ مِن كَذا وَكَذا. [مقاتل الطالبيين] ، وقد كان تواريه (ع) أكثروقته بالأهواز ، وقد كانَ (ع) بُويعَ له بالإمامَة دعا إلىٰ الله تعالىٰ ، وواعد أصحابَه سنَة (١٦٦هـ) فاجتهدَ في طلبه المهديّ العبّاسي حتّىٰ دسَّ إليه مَنّ يدسّ إليه السمّ فاستشهِدُ (ع) في الثّالث من شهر شعبان من تلك السّنة وهُو بالكوفَة ، وهُو ابنُ خمسٍ وأربعين سنَة .

- والدته (ع) :

وأمّ الإمام أبي عَبدالله أحمد بن عيسىٰ (ع) هاشميّةٌ ، هي عَاتكة بنت الفَضل بن عبدالرّحمن بن العبّاس بن رَبيعة بن الحَارث بن عَبد المطّلب رحمة لله عليها ، وقد كانَت بُثينة الشّيبانية، أرضعَت الإمام أحمد بن عيسىٰ (ع) ، وأرضعَت الفَضل بن جعفر بن سُليمان بن علي بن عبدالله بن العباس .

- إخوته (ع) :

وإخوةُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، هُم زيد ومحمّد والحُسين والحسن ، فأمّا الحُسين ومحمّد فأمّهما عبدة بنت عُمر بن علي بن الحسين بن عَلي بن أبي طالب (ع) ، وأمّا زيد فأمّه أم ولد ، والحسَن فقد مات في حياة أبيه ، وأخواتٌ هنّ زينب ورقيّة الصّغرىٰ ، ورقيّة الكبرىٰ ، وفاطمَة ماتت في حياة أبيها ، قال أبو نصر البخاري : أنّ رقيّة الكُبرىٰ خرجَت إلىٰ جَعفر ديباجَة ابن الحسن بن علي بن عُمر بن علي بن الحُسين بن علي بن أبي طالب (ع) ، نعم! والحُسين تزوّج ببنت الحسَن بن صَالح بن حيّ .

- نشأتُه (ع) ، ودعوتُه ، وطلبُ العباسيين له ، وتنقّلاتُه :

[بعدموتِ والدِه وإرسالُ المهديّ العباسيّ لهُ إلىٰ المدينَة] :

ماتَ والدُه الإمام عيسىٰ بن زيد (ع) ، وعُمر فقيه آل محمّد تسع سَنوات ، ممّا جعلَ أمرَ وَلَدَيه (أحمد وزيد) يكونُ معَ صاحبه ابن علاق الصّيرفي وهُو أحد شيعَة الإمام عيسَىٰ (ع) المُخلصين ، وقد كان ابن علاقَ مُطارداً لنُصرَة الإمام عيسىٰ (ع) ، وقليل ذات اليَد ، فلم يجد ابن علاق بدّاً من أن يحمِيَ نفسَه من المُطاردَة وكذلك أن يُحسِنَ إلىٰ ابنَي الإمام عسىٰ بن زيد (ع) ، فتوجّه إلىٰ المَهدي العباسيّ يحتَالُ في أن يجعلَه يعلَمُ بخبر وفاة الإمام عيسَىٰ بن زيد (ع) فتهدأ نفسهُ لأنّ المهديّ العبّاسيّ كان بذلكَ مُنشغلاً ، ثمّ يطلبُ منُه أن يقومَ بشأنِ ابنَي الإمام عيسَىٰ (ع) يسترقّه ويستعطفُه فيكون ابن علاقَة بهذا قد قامَ بواجبِ الإمام (ع) في ابنيه حسبَ اجتهادِه ونظرِه ، فيروي أبو الفرَج الأصفهاني : أنّ ابن علاق الصّيرفي : ((لمّا وقفَ ببابِه ، واستأذنَ له الحاجب ، أَمرَ بإدخاله إليه، فَأُدخِل فَسَلّم علىٰ المهدي بالخلافة وقال: أعظمَ الله أجرَك يا أمير المؤمنين في ابن عَمّك عِيسَىٰ. فقال له: وَيحك مَا تَقول؟. قال: الحقّ والله أقول. فقَال: ومَتىٰ مَات؟ فَعَرَّفَهُ ، فقَال: مَا مَنعَك أن تُعَرِّفني قبل هذا؟ قال: مَنعني الحسَن بن صالح. وَصَدَّقه عن قوله فيه فقَال له: لئن كُنت صَادقاً لأُحسِنَنّ صِلَتك، ولأوطئن الرّجَال عَقبك. قال: لَيس لهذا قَصدَتُ، إنّما عَلِمتُ أنّك في شَكٍّ مِن أمرِه، ولم آمن أن يَتشوّف به الناس عِندَك، فأحبَبت أن تقف عَلىٰ خَبره فَتستريحَ وتُريح.

قَال: أما إنّك جئتني ببشَارتين يجل خَطرهما مُوت عيسىٰ ، والحسن بن صالح، ومَا أدّري بأيّها أنا أشدّ فَرحاًر، فَسلني حَاجَتك. قال: وَلده تحفظهم، فَو الله ما لهم مِن قليل ولا كثير، فأتاهُ أحمد وزَيد ابنا عِيسَىٰ فنظرَ إليهما وأجرَىٰ لهما أرزاقاً، ومَضيَا بإذنه إلىٰ المدينة، فماتَ زَيدٌ بها، وبَقي أحمد إلىٰ خلافَة الرّشيد وَصَدراً مِنّ خَلافَته وهو ظاهر، ثمّ بلَغ الرّشيد بَعد ذلك أنّه يَتنسّك وَيطلُب الحديث وَتجتمع إليه الزيديّة، فبعثَ فَأخذَه وَحبَسه مُدّة إلىٰ أن أمكنه التخلّص من الحبس .

[الإمامُ أحمَد بن عيسَىٰ (ع) في المدينَة ، ومُبايعتِهِ للإمام الحُسين الفخّي (ع)] :

وصلَ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) إلىٰ المدينَة النبويّة في حُدود سنَة (١٦٧هـ) ، وهُناك رأىٰ بني عُمومته من سَادات بني الحسَن والحُسين ، وأخذَ عنهُم ، وعاشَ أثرَ الظّلم العبّاسي علىٰ سَادات بني الحسن والحُسين ، التي أسفرَت عن دَعوة وقيامِ الإمام الحُسين بن عَلي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طَالب (ع) ، وهُو صاحبُ فخّ علىٰ الخليفَة العبّاسي الهادي ابن المهدي ابن المنصور ، سنَة (١٦٩هـ) ، وكان عُمر الإمام فقيه آل محمّد أحمد بن عيسَىٰ (ع) وقتهَا (١٢) سنَة إلاّ أنّه مُميّزٌ وكذَا شيمُ أطفال وغلمَان آل محمّد فإنّه بُيوتَهم صناعَة العُقول والعُلوم ، وكذلك شظفُ العيش والتّطريد والتّشريدُ يصنعُ أطفالَهم وغلمانَهم أولي نباهةً وتمييزٍ وفطنَة سريعَة ، فبايعَ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) ابن عمّه الإمام الفخّي الحُسين بن علي (ع) ، وذلكَ بعد أن دَعاهُ الإمام الحُسين الفخّي (ع) إلىٰ إجابَته فيقولُ الإمام أحمدبن عيسىٰ (ع): ((دعَاني الحُسين صَاحِب فَخّ إلىٰ الرِّضَى، وهُو كَان الرّضَى)) [جامع علوم آل محمد] ، وهذه الدّعوة من الإمام الحُسين (ع) لفقيه آل محمّد يتّضح معها تمييزُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، وأيضاً أنّ غرضَ الإمام الحُسين الفخّي (ع) هُو زرعُ مبدأ إجابَة الدّاعي من أهل البيت ، وأهميّة الدّعوة ، والشّجاعَة في قلبِ فقيه آل محمّد وهُو علىٰ ذلك السنّ في الثّانية عشر من عُمره ، وهذا من أسلوب التّعامُل الصّحيح مع الأبنَاء ، خصوصاً وأنّ الإمام الحُسين (ع) كان يرَىٰ أنّ فقيه آل محمّد أحمد بن عسَىٰ حديث عهدٍ بالمدينَة بعدَ وفاة والدِه في الكوفَة فتوجّه لهُ بتلك الدّعوة ، وذلك أنّه قد صحّ أنّ ولادَته (ع) كانَت سَنة (١٥٧هـ) كما مرّ معَك في بداية التّرجمَة .

[الإمامُ أحمَد بن عيسَىٰ (ع) في المدينَة ، يبلُغ في العُلوم المَراتبيين أهله ، ويجتمعُ له أهل العلّم ، وحبسه] :

تُوفّي الهادي العباسيّ سنَة (١٧٠هـ) ، والإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) لا زال في المدينة ، والأخبار علىٰ أنّ أخاه زيدُ بن عيسَىٰ القادمُ معهُ إلىٰ المدينَة توفّي في المدينَة ، نعم! فلمّا كانَ صدرٌ من خِلافَة هارون

العبّاسي ابن الهادي العباسيّ ، نُرجّحُ أنّ ذلك في سنَة (١٨٢هـ) وعُمر فقيه آل محمّد (٢٥) عاماً ، كانت الأخبَارُ تصلُ إلى هارون العبّاسي وهُو للتوّ قد أجهزَ وقضَى على دعَوتَي الإمام يحيى بن عَبدالله بن الحسن بن الحسن (ع) صاحبُ الدّيلم ، وكذلك فعَل بدعوة الإمام إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن (ع) صاحبُ المَغرب ، بأنّه يتنسّك ويطلبُ الحَديث وأنّ الزيديّة تجتمعُ إليه تأخذُ عنه وقد برزَ صيتُه ، فاستبقَ هارون العباسيّ الأمرَ ، وأمرَ بأخذِه إليه ، وأمرَ بحبسِه ، وأيضاً كان هارون في نفسالوقت قد أمرَ بحبسِ ابن عمّه وسَلفُ العترة القَاسم بن بن علي بن عُمر بن علي بن الحُسين بن علي بن أبي طَالب (ع) ، فكانَ الُتولّي عليهما في الحبس وزيرُ هارون العباسي الفضل بن الرّبيع ببغداد .

[تخلصّ الإمام فقيه آل محمّد أحمد بن عيسَى (ع) من حبس هارون العباسيّ ، وخروجه إلى البصرَة] :

ولّما كان الإمام أحمد بن عيسَى (ع) في الحبس فقد قام جماعةٌ من شيعتِه من الزيديّة في الاحتيال لإخراجه ، فأرسلوا إليها فالوذجاً ،وهُو نوعٌ من الحَلوى ، في جاماتٍ (كؤوس) ، كان أحدُها مُختلطٌ بـ (البَنج) ، فأطعمَ الإمام (ع) المُوكلين بحراسته الجامَ المُبنَّج حتّى تأكد من أنّهم غير مُدرِكِين ، فخرجَ هُو وابن عمّه القاسم بن علي صلوات الله عليهم ، فلمّا تيقّنوا الخُروج سلكَ كلّ واحدٍ منُهما طريقاً مُخالفاً للآخَر وذلك لئلاّ يُحاط بهما معاً ، فيكونُ أحدهما يقومُ برسالَة الله في الأرض ، وفعلاً فقد خرجَ من ذريّة القاسم (ع) ، الإمامُ صاحبُ الطّالقان محمّد بن القاسم بن علي (ع) ، (ت بعد ٢١٩هـ) ، في سيرةٍ تطول .

نعم! خرجَ الإمامُ فقيه آل محمّد (ع) أحمد بن عيسى (ع) ونظر أقرَب مكان يأمَنُ فيه فتوجّه إلى دار العبّاسي محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن علي بن عبدالله بن العبّاس ، وقال له الإمام (ع) : ((لقَد رَأيتُك مَوضعاً لِدَمِي، فَاتّق الله فِيَّ. فَأدخَلَه مَنزِلَه وَستَره ، ولم يزل مُدةً بِبغدَاد مُستتراً)) ، وفي ذلك الوقت كان هارون يقلب منازل الشّيعة في بغداد تتبّعاً للإمام أحمد بن عيسى (ع) ، حتّى تخلّصَ الإمام (ع) وخرجَ إلى البصرَة ، عن طريق ابنٍ كانَ لمحمد بن إبراهيم العبّاسي ، كان منهوماً بالصيّد ، فخرجَ معه الإمام (ع) في مركب صيده متلثّماً متنكّراً على أنّه أحَد غلمانِه حتّى وصلَ المدائن ، فالبصرَة ، وبها أقامَ مدّةً ، ومعه صاحبُه أبو غسّان الخُزاعي كان يتنقّل البلاد رسولاً بينه وشيعته .

[تتبّع هارون العباسي لخبَر الإمام أحمد بن عيسَى (ع) ، وبثّه العيون في الكوفَة والبصرَة ، وتخلّصه] :

لم يهدأ لهارون العباسيّ بالٌ ولم يستقرّ له قرارٌ ، فقد كان خائفاً من الإمام أحمدبن عيسَى (ع) وتنقّله في الشّيعَة إلاّ أنّه غبيَ عليه مكانُه هل هُو في الكوفَة أم في غيرها من البلاد ، فاحتَال هارون وأرسَل

إلىٰ الشّيعَة في الكثوفة رجلٌ يُقال له ابن الكرديّة يحيىٰ بن خالد ، وولاّه علىٰ ضياع الكوفَة ، وأمرَه أن يُظهَر التشيّع ، وأن يُفرّق في الشّيعة الأموال الكثيرَة حتّىٰ يطمئنّوا إليه ، وكان يتحسّس ويتجسّس خبرَ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، وكان لا يبدأ النّاس بالسّؤال ، حتّىٰ لا يشكّوا به ، فلمّا اطمئنّوا إليه كان قدجرىٰ ذكرُ أبي غسّانٍ الخُزاعيّ وأطنبوا في مدحه والثّناء عليه ، فقال ابن الكردّيّة عاملُ هارون : قد اشتقنَا إلىٰ أبي غسّان هذا ، فقالوا هُو عند أحمد بن عيسَىٰ بالبصرَة ، فانطلقَ ابن الكرديّة بذلك الخبَرَ إلىٰ هارون العباسيّ وأنّ الإمام (ع) في البصرَة .

فولاّه هارون كذلك علىٰ ضياع البصرَة وأمرَه أن يفعَل في الشّيعَة هُناك كمَا فعلَ في الكُوفَة حتّىٰ يطمئنّوا إليه ، وأن يفيض عليهم الأموال ، وكان يعرضُ له ذكرُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) فلا يلتفتُ إليه ابن الكرديّة ليستوثقَه النّاس ، حتّىٰ اطمئنّوا إليه منكثر صلاِته وإظهاره للمحبّة والتشيّع ، فقال لهم: ((إنّي أُحِبّ أن ألقىٰ هَذا الرّجُل)) ، يقصدُ الإمام أحمد بن عسيىٰ (ع) ، فَقالوا له: ((لا سبيل إلىٰ ذَلِك)). قالَ: ((فَاحمِلُوا إليه مَالاً يَستعين به، وأعلمُوه أنّي لَو قَدرتُ عَلىٰ أن أُعطِيَه جَميع مَال السُّلطان لفَعَلتُ)) ، فَأخَذوا المَال وَحَملوه إلىٰ [صاحبِ الإمَام] فَقَبله، وَجعل ابن الكُرديّة يُتابع الأموَال إلىٰ [صاحب الإمَام] بَعضها ببعض ، فاطمأنّ له النّاس أكثَر ، فقَال ابن الكرديّة لهُم يوما: ((ألا يجيئنا هَذا الشّيخ؟. فَقالوا له: لا يُمكن ذَلك. قال: فَليأذَن لنا نَأتِه نَحنُ. قَالوا: نَسأله ذلك، فَأتوه [أي الإمام أحمد بن عيسَىٰ] وَسألوه إيّاه. فقال [عليه السلام]: لا وَالله لا آذَن لَه أبداً، وَيحَكُم ألا تَنتهون؟ هذا والله مُحتَالٌ. فقالوا له: لا والله مَا هُو بمُحتَال، فَلم يزالوا به حتىٰ أجَابهم إلىٰ أن تَلقّاه، فلما كَان اللّيل ، قالَ[صاحبُ الإمام] لأحمَد بن عيسَىٰ: قُم فَاخرُج إلىٰ موضع آخَر، فإن ابتُليت سَلِمْتَ أَنْتَ ، فخرَج أحمَد ، وَبعَث ابن الكردية إلىٰ أحمَد بن الحارث الهلالي ، وكَان أمير البَصرة يَأمُره أن يبعث بالرّجال إليه ليهجُموا عَليه حَيث يَدخُل، ومَضىٰ هو حتّىٰ أتَىٰ الدّارَ، وبَعث بغلامه حتىٰ جَاء مَعَه بالرجال فَهجُموا علىٰ [صاحب الإمام] ، فقَال لابن الكُردية: ويلك غَرَرْتَني بالله. قال: مَا فعلتُ!، ولعلّ السّلطان أن يكون قد بلغه خبرك)) ، فَأُخِذ صاحب الإمام وحُبس ، وكذلك حُبسَ ، وحُبسَ أيضاً رجل من أحصاب الإمام وقد كان يأخُذ البيعات للإمام في بغداد وهُو الحَازمي رَجلٌ مِن ولد عبد الله بن حازم، من خُراسان ، وقد كانَت وقعَت في يد هارون بعض كُتبه فأمرَ به فُضربَت عُنقه رحمَه الله .

[مسيرُ الإمام أحمد بن عيسىٰ (ع) إلىٰ الأهواز وتتبّع هارون العبّاسي له ، وكُمون جيشِه له بواسط] :

خرجَ الإمام فقيه آل محمّدأحمد بن عيسَىٰ (ع) من البصرَة ، وتردّد منها وإلىٰ الأهواز وبها استقرّ ومعه بعضُ أصحابِه ورجلٌ من ذريّة الإمام إدريس بن عَبدالله (ع) ، ومعهُ كاتبُ الإمام النّفس الرضيّة إبراهيم بن عبدالله (ع) ، فبينَا هُم علىٰ ذلك حال ، كان يدخُل عليهم رجلٌ بَربريٌّ ، وكانَ الإمام (ع) يأنسُ به ، وكانَ يخدمُ الإمامَ وأصحابَه ، إلاّ أنّه لم يثبُت جنانُه فذهبَ إلىٰ صاحب بريدِ أصفهَان عِيسَىٰ الرّواوزدي ، ودلّه علىٰ مكانِ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) وأصحابه ، فأخبرَ صاحبُ البريدِ هارون العباسيّ ، فاسترّ لذلك غايَة السّرور ، وكاتبَ هارون وُلاةَ البحرين والأهواز وصاحب بريد السّند ليكونوا جميعاً تحت طاعَة صاحب بريد أصفهَان وكان والي البحري آنذاك أبو السّاج ، فإذا أمرَهُم هجمُوا علىٰ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) وأصحابِه ، فوردَ صاحبُ البريد إلىٰ الأهواز وقد دبّرَ الأمرَ مع البربريّ علىٰ يدُخل علىٰ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، وأن يُخبرَه بأنّه من شيعتِه ، وفعلاً دخل البربريّ ، فوصفَ له صاحب البَريد علىٰ أنّه رجلٌ من شيعتِه ، حتّىٰ حمَل الإمام (ع) علىٰ السّماح له بالدّخول ، وفعلاً مكثَ عيسَىٰ هذا صاحبُ البريد بينَهم يختلطُ بِهِم يُريد تمكين الثّقة فيما بينَه وبينَ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) وكان أوّل دُخولِه قبّل يدِ الإمام (ع) ، ثمّ ابن إدريس بن عبدالله ، وكان يحملُ إليهم بما يحتاجُونَ إليه ، فلمّا كان وقتٌ تكلّم عيسىٰ صاحبُ البريد ناصحاً : ((هَذا بلد ضيّق ولا خَير فيه، فَهلمّا مَعي حَتّىٰ أوافي بكُما مِصر وإفريقيّة فإنّ أهلَها يَخفّون معي وَيُطيعُونَني . قالوا: وكيف تأخُذ بِنا؟. قَال: أُجلِسُكم المَاء إلىٰ وَاسِط، ثمّ آخُذ بكُم علىٰ طريق الكُوفة، ثمّ عَلىٰ الفرات إلىٰ الشّام، فَأجابُوه فأجلَسَهم في السّفينة، وَصَيّر مَعَهم أعوان أبي السّاج أُمَنَاء عَليهم وَمَضَوا)) ، نعم! فكانَت تلكَ حيلةٌ من عيس صاحب البريد ، يُريدُ أن يقبضَ علىٰ الإمام (ع) يُحيطُ به إذا وصلَ واسِط ، كلّ هذا في فلَكٍ خذلانٍ من التّدبيرِ لو تأمّله المُنصفون ، ولعلّ عيسَىٰ صاحب البَريد هذا يُريدُ أن يُوصِل الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) إلىٰ أقرب مَبلَغٍ منَ بغدَاد مكان مكنَة هَارون فلا تفشَل خطّته بتفلّت الإمام أو بأن يُعينَ الإمام أحَدٌ مِن الزيديّة ، وهذا وإن كان من ضروب الدّهاء إلىٰ أنّه خذلانٌ ، وذلكَ أنّ عيسَىٰ صاحب البريد كان قد أوصَىٰ أعوان أبي السّاج بأن يذكُروا أنّهم من أتباع السّلطان ، فلمّا ركبُ الإمام (ع) وأصحابُه السّفينَة ، قال عيسَىٰ للإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) أنتُم تركبون السّفينَة ونحنُ نتقدّمكم إلىٰ واسِط لإصلاح وتجهيزِ بعض ما نحتاجُ إليه في سفرِنا من كراءٍ وغيرِه، ومضت السّفينَة وركبُ صاحبُ البريد هُو والبربري خُيول البريد يكمنون للإمام حتّىٰ إذا وصلَ يقبضون عَليه بمَن معه حيث قد هيّأ له هارون رجالاً ، وبأصحاب أبي السّاج الذين في السّفينَة ، فلمّا كانَت السفينة تسيرُ طريقها أوقفَها أصحاب الصّدقَة ، فصاحَ بهُم المُوكلّون مع الإمام (ع) ، فقالوا نحنُ أصحابُ أبي السّاج وقد جئنا في أمرٍ مهمّ ، فتنبّه الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) وأصحابُه ، إلىٰ هذه الخديعَة ،

فلمّا جاوزوا أصاب الصّدقة ، قال الإمام (ع) أقدمُوا إلىٰ الشّطّ لنُصلّي ، فتوقّف الملاّحون ، وخرجَ الإمام وأصحابُه وتفرّقوا بين النّخل وتستّروا بها حتّىٰ أبعدوا عن أين المُوكّلين بهم فقد كانوا في الزّورق يأتمرون بأمر صاحب البريد أن لا يُظهروا شيئاً للإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) وأصحابِه ، فلمّا انتبه الموكّلون أصحاب أبي السّاج لحقُوا الإمامَ وأصحابَه وقد كانُوا فاتُوهم ولم يعثروا عَليهم ، فعاد الموكّلون إلىٰ السّفينة ووردوا واسطَ خائبين ، وعيسىٰ صاحبُ البريد ينتظرُهم برجال هارون العباسيّ ، فأخبروه بما كانَ ، وغضبَ منهُم عيسَىٰ ، وقال : ((لا والله ولكن ارتَشيتُم وصَانَعتُم ودَاهنتم)) ، وقدَم بهم علىٰ هارون فَضرَبهم بالسّياط ضَربا مُبرّحا، وحبسَهم جميعا في المطبق، وغضبَ هارون علىٰ أبي السّاج لعلّ ذلكَ لسبب عدم توكيل الأكفاء ، وقد همّ بقتله ، نعم! كلّ هذا كان في سنَة (١٩٣هـ) ، أو قبلَها ، لأنّ هارون العباسيّ تُوفّي سنَة (١٩٣هـ) ، ولو قدّرنا أنّ ذلك كانَ سنَة (١٩٣هـ) فيكون عُمر الإمام فقيه آل محمّد (٣٦ سنَة) ، وإلاّ فهذه الحادثَة كانَت وهُو في عُمر أقلّ من ذلك ، ثمّ يظهَرُ أنّه توجّه إلىٰ البصرَة وبها توارَىٰ .

[اجتماع سادات العترَة في بيت الحافظ محمّد بن منصور المُرادي ، ومعهم الإمام أحمد بن عيسىٰ (ع)] :

وفي سنَة (٢٢٠هـ) ، وعُمر الإمام فقيه آل محمّد أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، (٦٣) عاماً ، حَصلَ وأن اجتمع سادَة العترة في زمانِهم ، الأئمّة ، الرّسي القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طَالب (ع) ، (١٦٩-٢٤٦هـ) ، وعبدالله بن موسىٰ بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) ، (ت٢٤٧هـ) ، و الحسن بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ، (ت٢٤٧هـ) ، في منزلِ الحافظ الكَبير محمّد بن منصور المُرادي بالكوفة ، وجميعهم علىٰ فكر واحدٍ ، وهمّ واحد تجاه أمّتهم التي تلعّب بها بنو العبّاس بالجَور وإضاعَة أحكام الكتاب والسنّة ، فيروي الحافظُ أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم الحسَني (ت٣٥٣هـ) تفاصيل ما جرَىٰ بينَهم صلوات الله عليهم ، بإسناده ، أنّ محمد بن منصور المرادي قال : ((كُنتُ فِي مَنزلِي بِالكوفَة سَنَةَ عِشرين ومَائتين كَئيباً حَزيناً لِمَا فِيهِ آل محمّد صلىٰ الله عليه وآله وسلم ومَا فِيهِ شِيعَتهم، حَتّىٰ اسْتَأذَنَ عَليَّ أبو عَبد الله أحمد بن عيسىٰ بن زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فَاستَقبَلتُه، وأدْخَلته مَنزِلِي، وَرَحّبْتُ بِه، وسَرّتني سَلامَته مِن البَصرَة، ثمّ مَا شَعرتُ بِشيء وأنَا فِي الحدِيث مَعهُ والتوجّع لِمَا فيهِ أمّة محمّد صلىٰ الله عليه وآله وسلم حَتّىٰ استأذَن إليّ أبو محمد القَاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي عليه السلام فَاستقبَلته وأدْخَلتُه، ورَحّبتُ بِه، وسُرِرتُ بِسَلامَتِه مِنَ الحِجَاز، وجَعلنا نَتحدّث، ونَذكُرُ مَا فِيهِ

النّاس مِن الظّلم والتّعدّي، ومَا تَغلّب عَليه الجائرون، حَتى استأذَن عَبد الله بن مُوسى بن عبد الله بن الحسن عليه السلام فَغدَوتُ فَاستقبَلته، وأدْخَلته الدّار، وهَنأتُ لَه بِسَلامَته، وقُدومِه مِنَ الشّام سَالماً؛ لأنّه كَان بِجَبل لكام ؛ وأقبَل عَليه أحمد بن عيسى والقاسم بن إبراهيم يَسألانِه عَن حَالِه وأمرِه. قال: ورَآهم أبو محمد الحَسن بن يحيى بن الحسين بن زيد عليهم السلام فَجاءنا ودَقَّ عَلينا الباب فَقُمتُ فَفَتحتُ له ، فَسلَّم عَلى القوم ودَعَا لَهم بِالسّلامَة، وقَال: الحمدُ لله الذي جَمَعنا وإيّاكم فِي دَارِ وليٍّ مِن أوليائنا. قال محمد بن منصور: وهَؤلاء هُم الذين كَان يُشارُ إليهِم ويَفزَعُ السّلطانُ مِنهُم، وقَد امْتنَعوا عَن الحضورِ عِندَهُم وفِي مجَالِسِهِم، وأخْذِ عَطَايَاهُم. قال محمد بن منصور: فَوَرَدَ عَليَّ مِنَ السّرور مَا لا أحْسِنُ أنْ أصِفَه، ودُهِشتُ وأرَدتُ أنْ أخرُجَ فَآخُذَ مَا يَأكلون، فَقَالوا: إلى أينَ تَمضِي زُرنَاك وتَتركُنا وتَخرُج؟ فقلت: يَا سَادتي، آخذُ لكُم مَا يَصلحُ مِن المأكُول. فقالوا: ومَا عِندَك شَيء؟. قلت: بَلى، ولكن أستَزيد. قالوا: ومَا عندك؟ فقلت: عِندِي خُبزٌ وملح ولَبن وتمرٌ «سابري» . فقالوا: أقْسَمنا عَليكَ لا تزيد عَلى هَذا شيئاً، وأغْلِقِ البابَ لِنأمَن، فَقُمتُ واستوثَقتُ مِنَ الباب وأغلَقتُه، وقَدّمتُ إليهِم طَبَقاً عَليه خُبزٌ ومِلح، وخَل ولَبنٌ وتمَر، فَاجتمَعوا وسمّوا الله عزَّ وجل، وجَعلوا يأكلون مِن غَير حِشمة حَتى استوفوا وشَربوا مِن مَاء الفُرات الذي كَان عِندي، وقَامُوا فَتوضئوا للصلاّة فَصَلّوا صَلاة الأولى فُرادى، وَوحدَاناً، فَلمّا انقَلبوا مَدّوا أرجُلَهُم كَلّ وَاحِدٍ عَلى سِجّادَتِه ، يَتحَدّثون ويَغتَمّونَ لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ومَا هُم فِيهِ مِن الجُور، والظّلم، فَقُمتُ وقَعَدتُ على عَتَبَةِ الصّفة لِيرَانِي جَمَاعَتُهم، وبَكيت، وقُلت: يَاسَادَة أنتم الأئمّة، وأنتُم أولادُ رسول الله ، وأولادُ عَليٍّ وفَاطِمة صلوات الله عليهم أجمعين «وأنْتم المُشارُ إليكُم»، وأنتُم أهلُ العَقد والحِل، وأنتُم العُلَماء، والأئمّة مِن ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وَوَلدِ الوَصيّ عليه السلام ، قَد اجْتَمعتُم وجَمَع الله بَينكُم، ونَحنُ بِلا إمَام، ولا لَنا جُمعَة ولا جَمَاعة، ولا عِيد، فَارحَموا كبر سنّي، واعمَلوا فِيمَا يُقرّبكُم إلى الله عزّ وجل، وبَايعوا واحِداً منكُم، أعلَمُكُم وأقوَاكُم حَتى يكون الرّضَا منكُم، تَرضَونَ به «لِي ولأمثالِي وللمُسلمين، ولا نَموت مِيتةً جَاهليّة بلا إمَام، ويَكون لنا إمامٌ نُطيعُه ونَعرفُه ونموتُ بإمَام». فقالوا : صَدَقت أيّها الشيخ، مَا أحسنَ مَا قُلت، وإنّ لكَ مِلّتنا، ولحَمَنا ودَمنا، وأنتَ منّا أهلَ البيت، ومَا نَطقتَ فَهو الصّواب، ونَحنُ نَفعَلُه بإذن الله، إن شاء الله. قال: فقلت: فَرّحُوني، ولا تَبرحُوا حَتى تُبرمُوه ولا تؤخّروه إلى مجلسٍ آخَر، فَإنّا لا نَأمَن مِنَ الحَوادِث. فبَرَزَ أبو مُحمد القَاسم بن إبراهيم، وأقبَلَ على أبي عبد الله أحمد بن عيسى وقال: إنّ شيخنا وَوليّنا قَد قَال قَولاً صادقاً متفقاً، وقَد اخترتُك لأمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنتَ العَالِم القوي ، تَقوَى على هذا الأمر، فَقد رَضِيتُك، ورَضِي أصحَابُنا فَتوَلَّ هذا الأمر، فَمُدَّ يَدَك أبَايعُكَ عَلى كتاب الله وسنّة رسوله، فَأنتَ الرّضَا لنَا، مَا

تَقولُون يَا أصَحَابنَا؟ قَالوا جميعاً: رِضَا رِضَا، فَقال أحمد بن عيسىٰ: لا والله وأنتَ يا أبا محمّد حَاضِر، إذا حَضرتَ فَلا يجبُ لأحَدٍ أن يَتقدّمَك، ويَختارُ عَليك، وأنتَ أولَىٰ بِالبَيعَة مِنّي، فَقال القَاسِم: اللّهم غُفرا، اللّهم غُفراً، أرْضَاكَ وأسألُكَ أن تَقُومَ بأمْرِ أمّة محمّد صلىٰ الله عليه وآله وسلم فتحيلَه ُعَليَّ، فَقال: لا يَكونُ ذَلكَ وأنتَ حَاضِر. قال: ثمّ أقبلَ القَاسِم عَلىٰ عَبد الله بن مُوسىٰ، فَقال: يَا أبا محمّد قَد سَمِعتَ مَا جَرىٰ وقَد امتنعَ أبو عبد الله أنْ يقبَل مَا أشرتُ بِه، وأنتَ لنَا رِضَا، وقَد رَضِيتُكَ لِعِلمِك وزُهدِك.فقال: يا أبَا محمد نَحنُ لا نَختَار عَليكَ أحَداً، وقَد أصَابَ أبو عبد الله فِيمَا قَال، فَأنتَ الرّضا لَنا جَمِيعاً. فقال القاسم: اللّهم غُفراً أحَلتَ عَليَّ أنتَ أيضَاً، لِمَ تَزهَدُونَ فِي النّظر لأمّة أبِيكُم محمّد صلىٰ الله عليه وآله وسلم وللنّاس عَامّة ؟ ثمّ أقبلَ عَلىٰ الحَسن بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد، فَقال: فَأنتَ يَا أبا محمّد اقْبل هَذا الأمر فَإنك أهْلٌ لَه، وأنتَ قَوي علىٰ النّظر فِيه، والبَلَدُ بَلَدُك، وتَعرِفُ مِن أمرِ الّناس مَا لا نَعرِف. فقال: يا أبا محمّد والله لا يَتقدّمُ بينَ يَديكَ أحَد إلاّ وهُو مُخطِئ، أنتَ الإمام، وأنتَ الرّضَا، وقَد رَضِينَاك جَميعاً. فقال القاسم: اللّهم غفرا ًاللّهم غفراً. قال: ثم إنّ أحمد بن عيسىٰ أقبلَ عَلىٰ القَوم، فَقال: إنّ أبَا محمّد لَنَا رِضَا وقَد رَضيتُ بِه. قال عبد الله بن موسىٰ و الحسن بن يحيىٰ: صَدقتَ أيها الشّيخ. قال محمد بن منصور: فَخِفتُ أنْ يَفُوتَنا وَقتُ صَلاةِ العَصر، ولم يُبرِمُوا أمراً حتىٰ أسَرَّ أحمد بن عيسىٰ إلىٰ القَاسِم بن إبراهيم وأخَذَ يَده، وقَال: قَد بَا يَعتُكَ عَلىٰ كتابِ الله وسنّة نبيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم وأنتَ الرّضا، فَجَعَل القَاسم صلوت الله عليه يَقول: اللّهم غفراً.. اللهم غفراً، ثمّ بَايَعه عبد الله بن موسىٰ، والحسن بن يحيىٰ ورَضُوا به، وقَالوا لي: بَايع، فَقُمتُ إليه وبَايَعتُ القَاسم بن إبراهيم عَلىٰ كتاب الله وسنّة نبيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ثم قَال لي القاسم: قُم يَا أبا عبدالله وأذِّن، وقُل فيه: حيَّ عَلىٰ خَيرِ العَمَل، فَإنه هَكَذا نَزَلَ بِه جبريل عليه السلام عَلىٰ جَدّنا محمّد صَلىٰ الله عَليه وآله وسلم ، فَقمتُ، وأذّنتُ ورَكَعتُ وأقمتُ فَتقدّم القاسم بن إبراهيم عليه السلام فَصلّىٰ بِنَا جمَاعَة صلاة العصر، وبَاتوا عِندي تِلكَ الليلة، وصَلىٰ بِنا المغرب والعشاء جماعة، فَلمّا أصبَحوا تَفرّقوا، ومَضَىٰ القَاسم بن إبراهيم إلىٰ الحجاز، وأحمد بن عيسىٰ إلىٰ البَصرة، وعبد الله بن موسىٰ إلىٰ الشام، ورجَع الحسن بن يحيىٰ إلىٰ مَنزله، فَكانوا عَلىٰ بَيعة القَاسم عليه السلام))
اهـ من رواية مُحدّث الآل أبي العباس الحسني (ع) ، نعم! وقد قال الإمام نجم آل الرّسول (ع) : ((أَدْرَكْتُ مَشْيَخَةَ آلِ مُحَمَّدٍ مِنْ وَلَدِ الحَسَنْ والحُسَينْ وَمَا بَيْنَهُمْ اخْتِلافٌ)) ، وهذه مصنّفاته (ع) فمبسوطَةٌ مطبوعَة ، والله المُستعان ، وفيه يقولُ الإمام أبو محمّد الحسن بن يحيىٰ بن الحُسين بن زيد (ع) وُهو أحد الأربعَة المُبايعين للإمام القاسم (ع) في بيت المُرادي ، عندما سُئلَ عن ابن عمّه الإمام القاسم بن إبراهيم : ((سَيّدنا وَكَبيرُنا، وَالمَنظورإليه مِنْ أهلِنا، ومَا في زمَانِنا هَذا أعلَم مِنه، ثمّ قال: لَو سَألتَ أهل الأرض مِن

عُلماء أهل البيت؟ لقَالوا فيه: مِثل قولي، قيل له: فَأحمَد بن عِيسىٰ بن زيد؟ فقَال: أحمد بن عيسىٰ مِن أفضَلِنا، وَالقَاسم إمَام)) [المصابيح] .

[علمُ الإمام أبي عَبدالله أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، وروايته للحَديث ، وآثارُه العلميّة] :

الإمامُ أبو عبدالله فقيه آل محمّد أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، له روايةٌ واسعَةٌ لأخبار جدّه الإمام الأعظَم زيد بن علي (ع) ، عن طريق الثّق ة الثّبت عند أئمّة الترة الحسين بن علوان ، عن الثّقة الثّبت أبي خَالد عمرو بن خالد الواسطيّ ، عن الإمام الأعظم زيد بن عَلي (ع) ، يحتجُّ صلواتُ الله عليه بأخبارِهم عن جدّه ، وهذا عن أئمّة العترَة ردّ علىٰ مَن قدح ابن علوان وأبا خالد الواسطيّ رحمهما الله تعالىٰ ، أيضاً له رواية عن عمّه الإمام الحُسين بن زيد بن عَلي (ع) ، وقد جلسَ في المدينَة أوّل نشأتِه فأخذَ عن أهلِه ولازمَهم ، وأكثَر أيضاً عن محمد بن بكرٍ البرساني (ت٢٠٤هـ) ، (ويقولُ الحافظ المُرادي محمد بن بكر الهمداني الأرحبيّ) ، أخبار الإمام الباقر (ع) .

وروَىٰ عنه ابناه محمد وعَلي ، وأكثر عنه الرّواية صاحبُه الإمام الحافظُ محمّد بن منصور المُرادي الكوفيّ حتّىٰ جمعَ عنه كتاباً كبيراً ، وهُو (أمالي الإمام أحمد بن عيسىٰ بن زيد) ، مطبوعٌ اليوم باسم (رأب الصّدع)، وكذلك روىٰ عنهُ محمد بن زكريّا الغلابيّ (ت٢٨٠هـ) ، ثمّ روىٰ حفيدُ الإمام علي بن محمد بن أحمد بن عيسَىٰ ، كتاب جدّه هذا عن الحافظ محمّد بن منصور المُرادي رحمَه الله تعالىٰ .

وجديرٌ بالذّكر أن نُشيرَ أنّنا لم نجدرجال الجرح والتّعديل قد خصّوه بصفَات الثّناء فضلاً عن التوثيق ، فهذا منهُم علىٰ العادَة المعلومَة عنهُم وهي البُعد عن أئمّة العترَة من سادات بني الحسن والحُسين وتقديمِ غيرهِم عليهِم ، بل إنّهم عن قولهِم واعتقادِهم بمعزل ، والله المُستعان .

أيضاً نشيرُ إلىٰ فقه واعتقادِ الإمام أبي عبدالله فقيه آل محمّد بن عيسىٰ بن زيد (ع) ، الذي وصلنَا عن طريق كتابِ الحافظ الشّريف محمد بن العلوي البطحانيّ الحَسنيّ (ع) ، (٣٦٧-٤٤٥هـ) ، (الجامع الكافي في فقه الزيديّة) .

[مِنْ هَدْي الإمامِ أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، وأقوالِه في أصول الدّين] :

[الإمامة مفهومُ العدَالة والصّبرُ علىٰ الأذَىٰ في جانبِ الله] :

العدَالَة في قائدِ الأمّة إمامِها مفهومٌ ومعنىً أكّدَ عليه الشّرعُ وأوعَد علىٰ مَن يُخالفُ تلك السنّة الإلهيّة التي كلّف بها العباد عقلاً وشرعاً ، نعني العدالَة وعدَم الظّلم والجَور ، فنجِدُ أنّ أساس ذلك التحرّك للإمام (ع) ، وذلك التّطريد له من خُلفاء بني العباس الخليفَة بعد الخليفَة بل حتّىٰ وفاتِه من فعل المتوكّل العباسي كمَا سيقفُ القارئ قريباً ، فإنّما هُو للأمرِ بالمَعروف والنّهي عن المُنكر ، وللسعي الحاثّ للقيام بهذه الفريضَة التي هي في المقامِ الأوّل أجلّ واجبَات الإمام الأعظَم للمُسلمين ، ثمّ بقيّة المُسلمين حسبَ تكاليفهِم الشرعيّة ، فيقولُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) يُؤكّدُ صفَة الإمام من أهل البَيت (ع) في الأمّة : ((والإمِامُ مِنّا أهل البَيت الوَاجبَة طَاعَته وإجَابته، مَنْ أطاعَ الله رَبّه ، وأشعَر تقوىٰ الله قَلبَه، وَشمّرَ في الله ثَوبَه، وأطالَ في الله خوفَه، واشتدّت بأمُور المسلمين عِنايتُه، فَتحنّن عَليهم بِرأفَته، وَتعطّف عَليهم برَحمَته، ويَتفقّد أمورهم بِنَظره، وَكَلا صَغيرَهُم وَكبيرَهم بِعينِه، وأحاطَت عَليهم شَفَقَتُه، واتّبع فيهِم آثارَ نّبيه -صلىٰ الله عليه وآله- فَخلَفَه فِيهم بَعدَه، وسَلك فيهم قَصْدَه، وأحيا فيهم سُنّتَه، وأظهَرَ فِيهم شَريعَته، وسَار فيهم بسِيرَتِه، فَواسَاهم بِنفسِه، وعَدَل بَينَهم بِقَسْمِه ، الموثوقُ بِعقله ودِينِه وَفَهمِه وَعِلمِه، المأمونُ عَليه عِندَهُم عَيبُه، المُؤدِّي حَقّ الله فيما استحفَظَه، فَإذا كَان كَذلك فَقد استوجَبَ مِنهُم الطّاعَة، واستحَقّ مِنهُم الإجَابَة)) [جامع عُلوم آل محمّد] ، وقالَ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) في مفهوم العدالَة هذا ، وواجبُ الإمام تجاه الأمّة ، وواجبُ الأمّة تجاه الإمام : ((ليسَ للإمَام أن ينتقص الرعيّة حَقّها، ولا للرعية أن تنتقص حقّ إمامها، فَمِن حَقّ الرعية علىٰ إمامها إقامَة كتاب الله وسنة نبيه فيها، بالعَدل بَينها في أحكَامِها والتّسوية بينها في قِسمهَا، والأخذ لمظلومِها مِن ظالمها، ولضَعيفها مِن قويّها، ولِوضِيعِها مِن شَريفها ، ولمُحِقِّها من مُبطِلِها، والعنايَة بأمرِ صَغيرها وكَبيرها، والتفقّد لمعاشها في دُنياها ومصلحتها في دينها، وعُمومها بالتحنّن عليها والرّأفة والرحمة لها كالأب الرّؤوف الرحيم بولده، المتعطّف عليهم بجهده، الكَالي لهم بعينه ونَفسه، يُجنِّبهم المراتع الوبيئة، ويُورِدُهم المناهلَ العذبةَ الرَّويَّة، فَإنّ الله سبحانه حمد ذلك مِن أخلاق نبيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم فقال جل وعلا: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) ، فَإذا فعل ذَلك الوَالي برعيّته كَان حَقّاً علىٰ الرّعيّة كَرامَتُه وتعظيمُه، وإجلالُه وتبجيلُه، وبرّه وتَفضيلُه، ومتابعتُه ومعاونته، وطاعتُه وموازرَتُه، والاستقامَة له ما استقام علىٰ كتاب الله وسنة نبيه، فإن خَالف ذلك إلىٰ غيره مِنَ التّسلط بالجبريّة والتّكبّر عَليهم، فمَنعَهُم حَقّهم واستأثر عليهم بِفَيئِهم، فلا طاعَة لَه عَليهم في مَعصية خالقهم، وحَرُمت عَليه إمَامتهُم وولايَتهُم، وحَرمت عليهم طَاعَتُه ومُعاونَته، وكَان حَقّ الله عليهم مُجاهَدته حتّىٰ يفيء إلىٰ أمر الله أو يَعتزل ولاية أمره، فإنّه لا ولاية لمن لم يحكم بما أنزَلَ الله)) [جامع علوم آل محمّد] ، نعم! ولعَمري ما

مثلُ هذه الدّعوة يستحقّ صاحبها عند المُؤمنين التّطريد والتّشريد ، أو أن تتغافَل عنها الأمّة ، وهذه الدعوة العادلَة من القائمين بأمر الإمامَة من سَادات العترَة من بني الحسن أو الحُسين (ع) يقومون بها بشعَار الرّضى من آل محمّد ، يقولُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) عن فقه هذه الدّعوة بهذا الشّعار ، فقال : ((الدّعوةُ إلىٰ الرّضَى، ثمّ قَال: الذي يقُوم هُو الرّضَى، وَلكنّها دَعوةٌ جَامِعَة)) [جامع علوم آل محمّد] ، وهذا علىٰ أصلِ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) في أنّ الإمامَة محصورةٌ في البطنين ذريّة الحسن والحسين (ع) ، نعم! وقد جاءَ رجلٌ إلىٰ الإمَام أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، يظهَرُ قبل دعوة الإمام (ع) وفيه سيقفُ النّاظر علىٰ عِظَم مكانَة الإمام (ع) في نفوسِ أصحابِه من الزيديّة ، فقال الرّجل يستحثّ الإمام (ع) علىٰ القيام : ((أنتَ أطوعُ في النّاس مِنْ عَلي بن أبي طَالب ، ومَا أرىٰ أحَداً أعَظم حَزماً ممن أمْكنَه هَذا الأمر شَيئٌ . فَجلَس عَنه، فقال الإمام أحمد بن عيسىٰ (ع) : قَد نَظرتُ في هذا الأمر ، فَوجَدتُ صَاحِبَه يحتاج إلىٰ أرْبَعةٍ لَيس به عَنهم غِنا في حَالٍ مِن الأحوَال يحتاج إلىٰ وَزيرٍ عَالمٍ بما يَردُ عَليه، مَأمونٌ عَلىٰ ذلك، وإلىٰ رَجُلٍ عَالم بالقضَاء، واختلافِ النّاس، ورَجُل عَالم بالحرب وتَدبيرها مَأمونٌ عَليها، ورَجُل مَأمونٌ علىٰ بيت المَال فما وَجَدتُ الأربعة، فَقُطِعَ الرّجل)) [جامع علوم آل محمّد] ، وهذا كما يرىٰ النّاظر من جودَة نظر وسياسَة الإمام (ع) ، نعم! ثمّ في الصّبر علىٰ هذا الأمر في غاية مرضَاة الله تعالىٰ ، يُحدّثُ الحافظُ محمد بن منصور المُرادي رحمَه الله الإمامَ أحمد بن عيسَىٰ (ع) بما سمَعه من خبرِ والدِهِ الإمام مؤتّم الأشبَال عيسَىٰ بن زيد (ع) ، عَن حَفص بن جناح وَوثّقَه الإمام أحمَد (ع) قال [أي حفص] : ((خرجَ عِيسَىٰ بن زيد ، وحَسَن بن صالح إلىٰ مكّة فَخرجتُ مَعهما، فلمّا صِرنَا بمَكّة ، فنادَىٰ مُنادي هَؤلاء يَعني السّلطان في عِيسىٰ بن زيد يَبذل لَه مِن المال، ويُعطِي مِنَ العُهود والمواثيق مَا لو أُعطِيته الطّير لأخَذت مِن جَوّ السّماء، فَقيل لعِيسىٰ: لَو أخذته منهُم فَاستعنتَ به عَليهم؟. فقَال عِيسىٰ: مَا يَسرّني أنّهم بَاتُوا آمِنين منّي لَيلةً وأنّ لي مَا طَلعت عَليه الشّمس، ولا يَسّرني أنّي بِتّ لَيلة آمناً مِنهم وأنّ لي مَا طلعت عَليه الشمس، ولا يَسّرني أنّي وَثقت بعهدهم أو رَكنتُ أو هَممتُ وأنّ لي مَا طَلعت عَليه الشّمس)) ، فلمّا انتهىٰ الحافظُ المُرادي ، قالَ له الإمام أحمد بن عيسىٰ (ع) : ((قد بلغَني ذلك)) ، أي الخبَرَ وقولِ والدِه (ع) ، ثمّ توّجه الحافظُ المُرادي إلىٰ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، فقالَ له: ((يَسُرُّكَ أنّهم بَاتوا ليلةً آمِنين مِنكَ وأنّ لَك الدّنيا؟. فأجابَه الإمامُ : لا وَالله. قُلتُ [أي الحافظ المُرادي]: فَيسُرُّكَ أنّك بِتّ لَيلةً آمناً مِنهُم وأنّ لَك الدّنيا؟ فقَال الإمام: لا وَالله، ومَا أصنع بالدّنيا ، ثمّ ذَكرَ (ع) مُعانَاته لهذا الأمر ، مِنْ كَان حدثَاه ، مَا وَجد فيه مِن الرِّجَال، ومَا مَرّ عَليه مِن الأمور إلىٰ أن بلَغ حَالَهُ هَذِه، وسَمعتُه تبرَّمَ بالبَقَاء. قال (ع): مَا أعرف أحَداً تمنّىٰ مَعه الحيَاة، وقَال: ما

أصنعُ بالدّنيا مَا أتمنىٰ إلا تّوبةً وأن يَرضَى وأن لا يُؤاخِذَني بسُوء السَّريرة وحُبّ الدّنيا، وربّما مَكثتُ أشْهُراً لا أرَىٰ وَلدي ، ذكرَ ثَمانية أشهُرٍ وَنحوهَا)) [جامع علوم آل محمّد] .

[الإمامة المنصبُ والوِلايَة والعصمَة] :

نعم! وفي منصبِ الإمامة وولاية أمير المُؤمنين (ع)، فقد سُئل الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) عن الوِلايَة هل هي فرضٌ كسائر الفرائض ، فقال (ع) : ((نعَم ، لنداء النّبي صلىٰ الله عليه وآله وسلّم بها)) [جامع علوم آل محمّد] ، وفي هذا المعنىٰ للفريضَة والولاية يُبيّن ذلك الإمام سلفُ العترَة الحسن بن يحيىٰ بن الحُسين بن زيد بن علي (ع) ، فيقول : ((ثمّ دَلّ عَلىٰ أن إمام المؤمنين وسيدهم علي بن أبي طالب، فقال لنبيه صلىٰ الله عليه وآله وسلم: ((يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ [١٦٨] وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)) ، فلما نزل جبريل بهذه الآية وأمرَه أن يبلغ ما أُنزلَ إليه من ربه ، أخذ بِيد علي –صلىٰ الله عليه – فأقامه، وأبانَ وَلايته علىٰ كُل مُسلم، فرفع يده حتّىٰ رَأىٰ الناس بَياض إبطيهما، وذَلك في آخر عُمره حين رَجع من حجة الوداع مُتوجهاً إلىٰ المدينة ونادىٰ الصّلاةَ جَامِعة، ولم يُقل الصلاة جامعة في شيء مِنَ الفرائض إلا يوم غدير خم، ثمّ قَال: ((أيها النّاس ألستُ أولىٰ بكم مِن أنفُسكم –يُعيد ذلك ثَلاثاً، يُؤكِّدُ عليهم الطّاعة ويزيدهم في شَرح البيان–، قالوا بلىٰ، قَال: مَنْ كُنت مَولاه فعَليٌّ مَولاه، اللهمّ وَال مَنْ وَالاه، وعَادِ مَنْ عَاداه وانصُر مَنْ نَصرَه واخذُل مَنْ خَذلَه)) ، فَأوجَب لَه رَسُول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم مِنَ الطّاعة عليهم مَا أوجب لنفسه، وجعلَ عَدُوَّه عَدُّوُه وَوليَّه وَليُّه، وجعَله عَلَماً لولاية الله يُعرف بِه أولياءُ الله من أعدَائه، فوجبَ لِعليّ عَلىٰ النّاس مَا وَجَب لرِسُول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلّم مِن الولاية والنّصر، فمَن تَولاّه وأطاعَه فَهُو لله ولي، ومَن عَاداه فهو لله عَدوٌّ، ومَن عَصَاه وخَالفَه ووضع مِن عظيم حقه مَا رفعَ الله فقد عصَىٰ الله ورسولَه، ثمّ أنزل الله في علي –عليه السلام–: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)) ، فدلّ النّبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم عَلىٰ عَلي بِصِفَةٍ ، فَوجب علىٰ أهل الإسلام مَعرفةُ عَليّ، وولايَتُه وطاعتُه بإمامَته، وأن يَكون متبوعاً غير تَابع، بالأخبار المَشهورَة عَن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم عَن غَير تواطئ)) [جامع علوم آل محمّد] ، نعم! وهذه هي عقيدَة الزيديّة اليوم ، عقيدةُ سلفِهم من أئمّة العترَة وإجماعُهم ، فليسَت عن أبي الجَارود بمأخوذَة ولا عَن كثير النّوا أو عن غيرهِم من رجال الشّيعَة ، والله المُستعان ، نعم! ويُحدّثُ الحافظُ علي بن أحمد بن عيسَىٰ ، عن أبيه الإمام ، أنّه قال : ((أوصَىٰ رَسُول الله صلىٰ الله عليه

وآله وسلم إلىٰ أولىٰ النّاس به وأفضَلهم عِند الله وعندَهُ ، وأعلَم النّاس مِن بَعده عَلي بن أبي طالب –صلىٰ الله عليه–)) [جامع علوم آل محمّد] .

نعم! وفي عصمَة الأئمّة عليّ والحسَنين وهو قولُ الزيديّة ، يقولُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) : ((نتولىٰ أمير المؤمنين في ظاهِر الأمر وباطنه، ونُوجِبُ لَه العِصمَة)) [جامع علوم آل محمّد] ، وسُئل الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) عَن رَجُل تجوز شَهادَته وَحدَه، فقال: ((لا ، إلاّ عَليّاً والحسَن والحسين. فقيل: وَكيف ذَلك؟ قال: لأنّهم مَعصومُون)) [جامع علوم آل محمّد] ، نعم! فهذه عقيدَة أئمّة العترَة تابعتهُم عليها الزيديّة حتّىٰ يوم النّاس هذا ، وهي منطوقُ الأدلّة ومفهومُها ، ويروي الحافظُ ابن عساكر بإسنادٍ صَحيح ، سَمِعتُ هَاشِم بن البَريد يَقول: سَمعتُ زَيد بن عَلي يَقول: ((المَعصُومُون مِنّا خَمسَةٌ النبيّ (ص) – وَعَليّ وفَاطِمَةَ والحسَنَ والحُسين)) [تاريخ مدينة دمشق:١٩/ ٤٦٤] ، وكذلك رواهُ الحافظ محمد بن سليمان الكُوفي ، بإسناده ، عن هاشم بن البريد ، عن زيد بن علي ، قَال: قَال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: ((منّا خَمسة معصومون: قيل: يَا رَسُول الله مَن هُم ؟ قَال: أنا وَعليٌّ وفَاطمة والحَسن والحُسين)) [مناقب أمير المُؤمنين:٢/ ١٥٣] ، نعم! وهذا مرويٌّ أيضاً عن الإمام الباقر (ع) ، وأيضاً رواه فرّات الكوفي في تفسيره عن الإمام زيد بن علي (ع) ، والحمدُلله .

نعم! وفي إمامَة من تقدّم أمير المُؤمنين (ع) وخلافَته الخلافَة الشرعيّة من باب إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، فإنّ أئمّة العترة لا يُصحّحون ذلك ، ولا يصحّ ما يُروىٰ من كُتب غير أهل البيت (ع) عن الإمام الأعظم زيد بن علي (ع) أنّ جوّز إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، فيقولُ الإمام الحسن بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن علي (ع) ، وهُو أحد الأربعَةِ من عيون العترَة المُجتمعين في دار الحافظ المُرادي كما مرّ معَك : ((وقد قَال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: ((عَليّ أقضَاكم)) ، فَلم ينقَادوا له بالطاعة كما أمرهم الله، واستحَال أن يكون المَفضول إماماً للفَاضِل؛ لأنّ الله قَدّمَ الفَاضِلَ بفضلِه، ورَسُول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم قد قَدّم مَنْ قَدّم الله، فمَن قَدّمَ مَنْ أَخّرَ الله ورَسُولُه وأخّر مَن قَدّمَ الله ورسولُه فقد خالفَ سنّة الله التي قَد خلت مِن قَبل ولن تجد لسنّة الله تبديلا، وَقد روي عن علي –صلىٰ الله عليه– أنه قال علىٰ المنبر: وَالله لقد قُبض رَسُول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وأنا أولىٰ بالنّاس به بقميصي هذا)) [جامع علوم آل محمّد] .

نعم! وفي منصبِ الإمامَة بعد أمير المُؤمنين (ع) بإجماع العترَة الذين منهُم الإمام أبو عبدالله أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، وهُو المُعاصر للإمام الحسن بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد (ع) ، فيقولُ الإمام الحسن بن

يحيىٰ بن الحُسين بن زيد بن علي (ع) : ((أجمعَ عُلماء آل رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم أنّ عَلي بن أبي طَالب كانَ أفضل النّاس بعد رسول الله، وأعلَمهم وأولاهم بمقامه، ثمّ من بعد أمير المؤمنين الحَسَن والحسين أولىٰ الناس بمقام أمير المؤمنين، ثمّ مِن بعد ذلك علماء آل رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم)) [جامع علوم آل محمّد] ، فالإمامَة في عليّ ، ثمّ الحسن ، ثمّ الحُسين ، ثمّ في ذريّة الحسن والحُسين ، وهو قول الزيديّة كما يعلمُ النّاظر .

[التّوحيدُ والعَدل والوعد والوعيد] :

وقد مرّ معكَ قولُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) في الإمامة ، وقولُه وفعلُه في الأمر بالمَعروف والنّهي عن المُنكر ، فنأتي علىٰ قولِه (ع) في التّوحيد والعدل والوعد والوعيد ، وإن كانت المُقدّمَةُ إلاّ أنّ مقام السّيرةِ في وجه الظّلم العباسيّ أوجبَ علينا ربطُ آخر السّيرة بما يُناسبُها من اعتقاد وقولِ الإمام (ع).

نعم! ففي التّوحيد ونفي التّشبيه ، يقولُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) : ((وَكُلّ شَيءٍ في القُرآن، وجَاء ربّك ، ويَأتي رّبّك ، وأشبَاه هذا، فمَعناه جَاء أمرُ ربّك ، ويأتي أمرُ ربّك)) [جامع علوم آل محمّد] ، وهذا منه (ع) نفي لهذه الوجوه والمعاني الحقيقيّة التي يقولُ بها أهل التّشبيه ، وإنّما وجهها التأويل ومجازُ القول حسبَ سياق الآية وممـا يتحمّلُه ، وقالَ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، وقد سُئلَ عما رُوي وكلتَا يَديه يَمين، فلم يقُل الإمام (ع) ، نثبتُ ذلك كما نزَل ، أو نفوّض معناه ، أونقولُ يدين حقيقتين ، بل قال (ع): ((مُلكُ الله وقُدرَتُه، وكَان مَا روي في هذا -يَعني مِن التشبيه- لها عندَهُ مَعاني وَوجُوه ليس أنّه يُكذِّبُ بها)) [جامع علوم آل محمّد] ، ولا شك أنّ الأخبار الصّحاح إذا ثبلَ التأويل بلا تكلّف فَقَبولُها لازم ، وإنّما ما لا يقبل التأويلُ منها فهُ، الذي يُردّ علىٰ راويه ، نعم! وقال الإمام الحسن بن يحيىٰ بن الحُسين بن زيد بن علي (ع) : ((أجمع عُلماء آل رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ نفي التّشبيه عن الله سبحانه، وأنه الوَاحد الذي ليس كمثله شيء، ولا تُدركهُ الأبصار، تعالىٰ عن الصفات، والأشباه والأنداد، والنظراء)) [جامع علوم آل محمّد] ، نعم! وفي نفي الرّؤية عن الله تعالىٰ في الدّنيا والآخرَة ، يقولُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، في قولُه تعالىٰ : ((وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَاضِرَةٌ)) قال: ناعمَة، ((إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)) تَنتظر الثّواب مِن ربّها)) [جامع علوم آل محمّد] ، قال الشّريف محمد بن علي الحسني البطحاني (ع) : ((قال أحمَد [بن عيسىٰ بن زيد بن علي] ، والقاسم [بن إبراهيم الرّسي] ، والحسن [بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد] ومحمد [بن منصور المرادي]: ليسَ نَرىٰ الله في الدّنيا ولا في الآخِرَة)) [جامع علوم آل محمّد] .

نعم! وفي العدل يقول الإمام الحسن بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن علي (ع) بما يدخُل تحته في الإجماع قول الإمام أحمد بن عيسىٰ (ع) : ((أجمع آل رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم أنّه مَنْ أحسَنَ فلله عَليه المنة، ومَن أسَاء فلله عليه الحجّة في إساءته، وغَير معذور في معصيته، ولن يخرج الخلق مِن قُدرَة الله وتدبيره ومُلكه)) [جامع علوم آل محمّد] ، وقال (ع) : ((إنّ الله سبحانه خَلق العباد وَعَلِم مَا هُم عَاملون قبل أن يَعمَلوا، وعرّفَهم طاعته وأمرَهم بها وأعانهم عَليها، وعرّفَهم مَعصيته ونهاهم عنها وأغناهم عنها. قال الحسن: فليس أحَدٌ يَصير إلىٰ طاعة الله إلاّ بنعمة الله وفَضله ورحمته، وليسَ أحَد يَصير إلىٰ المَعصية إلا بنقمَة الله والحجة لله علىٰ المطيع وعلىٰ العَاصي)) [جامع علوم آل محمّد] ، وقال (ع) : ((وللعبَاد أفعالٌ وإراداتٌ نَسبَهَا إليهِم، وعِلمُ الله وإرَادَته ومَشيئتُه مُحيطةٌ بإرادَتهم ومَشيئتهِم)) [جامع علوم آل محمد] ، والمُراد أنّ الله شاء وأراد أن يكون للعباد إرادةٌ يستطيعون معها أن يُريدوا لأنفسِهم الخير أو الشّر وتُنسبُ إرادتهم تلك إليهِم لا إلىٰ الله تعالىٰ ، وإنّما الله تعالىٰ هُو الذي جعلَهم مُريدين وقادرين ، فقدرتُه تعالىٰ مُحيطةٌ بقدرتِهم ، ولو لم يُرد الله تعالىٰ أن يجعلَهم مُريدين مُختارين لأنفسِهم لكانوا مُجبَرين والعياذُ بالله . نعم! وفي الوعد والوعيد يقولُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) : ((الإيمان قولٌ وعمَل)) [جامع علوم آل محمّد] ، ويقولُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) في الخُلود وقد سألُه الحافظُ المُرادي ، قال : يخرُج مِنَ النّار أحَد ممّن يَدخُلها؟ وهُو يتكلّم عن أهل التّوحيد والقبلَة ، فَقال [الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع)]: هَيهَات، وأنّىٰ له الخُروج، ونَعوذ بالله من النار، وقال: هُو في القرآن وذكر آيات من القرآن منها: ((لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا)) وقال: ((وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ)) [جامع علوم آل محمّد] ، وفي المنزلة بينَ المنزلتَين ، وهُو يُسمّي صاحب الكبيرَة بالكافر ، أي كافِر النّعمَة ، لا كُفر الجحود والخُروج من الملّة ، فكانَ هذا منزلة القول بالفسق منزلةٌ بينَ منزلة الإيمان ومنزلَة الكُفر النّاقل عن الملّة ، فيقولُ الحافظ المُرادي : سَألت أحمد بن عيسىٰ عمّن يعمل بمَعصية كبيرةٍ مَات عليها ولم يَتُب منها؟. قال [الإمام (ع)]: كَافرٌ . قُلت: في النّار؟ قال: في النّار)) [جامع علوم آل محمّد] ، وقال الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) : ((مَن عَمِل بالصّغَائر مِن الذّنوب دُونَ الكبَائر وقال: هَذه مَغفورةٌ لي لقوله: ((إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)) وَلم يَتُب منها ويَستغفر فهي كَبائر وهذا مُستكبر، وإنما قوله: ((إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ)) للهَفوة، وللذي يَعمل بالشّيء ثم يستغفر ويَرجِعُ عَنه)) [جامع علوم آل محمّد] ، وقال الإمام الحسن بن يحيىٰ بن الحُسين بن زيد بن عَل (ع) : ((وسألتَ عَن قوله: ((إِنَّ اللهَّ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)) ، فإنّ الله عز وجل قد أخبرنا بمَشيئته فقال: ((إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً)) ، وقال: ((وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ)) ، وقال: ((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) [جامع علوم آل محمد] ، وهذا كلّه هُو اعتقاد الزيديّة إلىٰ يوم النّاس هذا تتبّع العترة لا تحيدُ عن قولِهم ومنهاجهم ثقل الله الأصغر في الأرض . نعم! وفي الشّفاعَة أنّها للمُؤمنين دون الفاسقين وأصحاب الكبائر ، يقولُ الإمام الحسن بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن علي (ع) : ((وسَألتَ عَن شفاعة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم لمن هي؟!. فإنّ شَفاعَته لأهل بَيته ولمن وَدَّهُم، وليس لأحَدٍ حادَّ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وأهلَ بَيته فيها نَصيب)) [جامع علوم آل محمّد] .

[وفاةُ الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع)] :

تُوفّي الإمام أحمد بن عيسَىٰ (ع) سنَة (٢٤٧هـ) ، بالبصرَة ، عن (٩٠) عاماً ، وكان حتّىٰ وفاته مصدرَ خوفٍ لسلاطين الجَور ، وكان في زمانه المتوكّل العبّاسي ، يذكُر أبو الفرج في (الأغاني) : أنّه نُعِي إسحَاقُ المُوصِليُّ المُغنّي الأوّل لخلفاء بن العبّاس إلىٰ المُتوكّل في وَسط خلافته، فغمّه وحزن عليه، وقال: ذَهبَ صَدرٌ عَظيمٌ مَن جَمال المُلك وبَهائه وزينته؛ ثم نُعِيَ إليه بعدَه أحمَد بن عيسىٰ بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات اللهّ عليه، فقالَ المتوكّل: تكافأت الحَالتان!!، وقامَ الفَتح بوفاة أحمَد – ومَا كُنت آمَنُ وَثبَته عَليّ – مَقام الفجيعة بإسحَاق؛ فالحمد للهّ علىٰ ذلك!. [الأغاني بتصرّف يسير] ، وفي هذا فيتأمّل النّاظر ، ثمّ لم يلبَث المتوكّل العبّاسي بعد ذلك إلاّ أيّاما ، والله المُستعان ، نعم! وفي ذلك العِقد الرّابع من القرن الثّالث الهجري ، ماتَ أصحابُ الإمام (ع) ، الإمام نجم آل الرّسول القاسم بن إبراهيم (ع) ، (ت٢٤٦هـ) ، والإمام الحسن بن يحيىٰ بن الحُسين بن زيد بن علي (ع) ، (ت٢٤٧هـ) ، في نفس السّنة (٢٤٧هـ) ، والإمام الرّضا عبدالله بن موسىٰ بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي (ع) ، (ت٢٤٠هـ) .

نعم! وبهذا وما مضَىٰ نختمُ الكلام حولَ سيرَة الإمام فقيه آل محمّد أحمد بن عيسَىٰ (ع) ، عادَت بركاتُه ، ونُصلّي ونسلّم علىٰ سيّدنا محمّد وآله الطّاهرين .

وكتبَه / الكاظم الزّيدي ، غفر الله له ولوالديه وللمُؤمنين .

يوم الجمعة الموافق ٢٧ ربيع الأوّل ١٤٣٩هـ .

المصادر:

- التحف شرح الزلف ، للإمام مجدالدين المؤيدي .
- الإفادة في تأريخ الأئمة السادة ، للإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الهاروني .
- المصابيح في السيرة ، للحافظ أبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني .
- مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الأصفهاني .
- الجامع الكافي في فقه الزيدية (جامع علوم آل محمد) ، للشريف أبي عبدالله محمد بن علي الحسني .
- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، للحافظ محمد بن سليمان الكوفي .
- تاريخ مدينة دمشق ، للحافظ ابن عساكر .
- الجداول الصغرى ، للإمام الحافظ عبدالله ابن الإمام الهادي القاسمي .
- أعلام المؤلفين الزيدية ، للعلامة عبدالسلام الوجيه .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني .
- الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز ، للعلامة أحمد بن عبدالله الجنداري .
- تهذيب الكمال ، ليوسف بن عبدالرحمن المزي .
- سر السلسلة العلويّة ، لأبي نصر البخاري .

****